S.D

حريم إكستريم

نوفيلا

ترانيم

#تعالوا_نعيش_الواقع

شخابيط وردية



حريم إكستريم

نوفيلا

#تعالوا_نعيش_الواقع



جروب

شخابيط وردية

إبداع الحرف وعشق الأبجدية

للدخول للجروب على الفيس بوك

/www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia

بقلم

ترانيم

تدقيق لغوي

إيمان خليفة

تصميم غلاف وداخلي

صابرين الديب

فريق عمل "شخابيط وردية"

(١)

بحياتك يا ولدي امرأةٌ عيناها سبحان المعبود

- بقري وحياتك.

فمها مرسوم كالعنقود

ضحكتها أنغام وورود

- يعني مش للدرجة يا حولم.

والشعر الغجري المجنون يسافر في كل الدنيا

- لا بقى زودتها يا عندليب!

وبضغطة زر من الحاج "منعم" فوق المسجل كان العندليب يكف عن "أفورته" ويصمت للأبد.. لينهى تصفيف شعيراته التي غلب بياضها على سوادها، ثم ارتدى ساعته المذهبة،

ليحمل مسبحته الأثيرة ويغادر غرفة النوم منها لسفرة الطعام..

جلس على أولها وشمر عن أكمام ثوبه في انتظار حضور الفطور.

وعلى بعد خطواتٍ كانت تهرول زوجته السيدة "أحلام" أو "الحاجة أحلام" كما يحب أن يلقبها عقب أدائهما لفريضة الحج العام الماضي.

امرأة ثلاثينية، طويلة القامة ذات جسد ممتلىءٍ بعض الشيء ببشرةٍ أقرب للسمراء لا تملك ذاك الجمال الصارخ ولا هي محل فتنة.. هي فقط امرأة ذات ملامح عادية.

وضعت أمامه طبق البيض الغارق في السمن البلدي وعادت بالخطى السريعة لتحضر ما تبقى من الفول المدمس والطعمية الساخنة

وشرائح الخيار وغيرها..

جلست فوق المقعد المجاور ورفعت ذراعيها المحملة بالأساور الذهبية الرنانة، تكسر له قطع الخبر وتضعها أمامه، تدلله كأحد أولادها الخمسة بل وأكثر، هي اعتادت الأمر منذ أن كانت عروسًا بليلة زفافها..!

لا يأكل إلا من يديها ولا يشرب القهوة إلا من صنيعها، وبعد يومه الطويل_في معرض الأثاث الخاص به_ تستقبله بخلع جواربه و وعاء الماء الدافىء تدلك وتفرك قدميه وبعدها العشاء السمين حتى تمام التخمة.

سيدة أصيلة تتفانى في سعادة زوجها وراحة أولادها ونظافة بيتها، فلا تفتأ تترك المكنسة حتى تمسك بالخرقه، تنظف هذه وتلمع تلك حتى صارت يضرب بها المثل بين مجالس النسوة.

نهض الحاج منعم وبين يديه منشفة صغيرة يمسح بها ما علق فيهما من طعام، ونهضت بدورها على عجل تحضر البخور وأخذت تدور حوله وتحوقل كعادتها كل يوم:

- رقيتك واسترقيتك من كل عين شافتك ولا صلتش على النبي..

قاطعها والإبتسامة المنتشية تحمل غرور ذكوري مبطن.. غرور مدرك أنه يملك شيئًا من جاذبية:

- كفاية يا أم أيمن هتحسد على إيه يعني.

- ما يحسد المال إلا صحابه يا سيد الناس.

ليقهقه بجذل ويدمدم قبل رحيل:

- عايزة حاجة قبل ما أمشي؟

- كنت هستأذنك بس أفوت على أم محمود، أبارك لها على خطوبة بنتها، دي ست صاحبة واجب طول عمرها.

- طيب بس متتأخريش.. عايزة حاجة تاني؟

- تعيش يا خويا خيرك سابق.. مش عايزه غير ترجعلي سالم غانم، ويبعد عنك كل شر قادر يا كريم.

أغلقت بابها عقب رحيله وما لبثت حتى شمرت عن ساعديها في مهمة تنظيف سريعة قبل الذهاب للزيارة المنشودة.

***

في بيت أم محمود استقبلتها خير استقبال، تبادلن التهاني والمباركات وآخر الأخبار المتناقله عبر الألسنة.. حتى حسمت أم محمود أمرها بهمس وملامح كساها الضيق، فواجب العشرة والجيره الطيبة يحتم ذلك:

- قلبي عندك يا أم أيمن، بس ولا تقهري نفسك يا حبيبتي مسيره يلف ويرجع لك بعد ما يعرف أن بنت الأصول ماتتعوضش.

غمغمت دون فهمٍ حقيقي بثغر باسم:

- لامؤاخذة يا أم محمود معلش مش فاهمة؟

فجرت القنبلة في وجهها بحذر:

- أقصد جوازة الحاج منعم يا ست الستات.

لوهلة ظنتها تمزح لكن ملامحها الجادة والعابسة جعلتها تتوجس وتدافع عما يخصها بملامح مستنكرة:

- إيه الكلام الفارغ ده يا ست أم محمود؟ هو ده جزاء المعروف والعشرة!

ونهضت تلملم عباءتها السمراء وتهندم طرحتها بقسمات غاضبة وهي تدمدم بحنق:

- عيب.. عيب قوي يا أم محمود، ماكنش العشم أبداً.

هرولت المرأة تتشبث فيها تبغي براءة من سوء ظنون:

- يقطعني يا حبيبتي، والله ما قصدي حاجة وحشه، ده أنا من وقت ما سمعت الخبر من نسوان الحته وأنا مش مصدقه وأقول هو في زي أحلام! ست كمل والعيبه ماتطلعش منها أبداً.

صمتت تطالعها بإنشداه أقرب للصدمة لتردف أم محمود:

- بس الناس كلها مافيش على لسانها غير خطوبة الحاج منعم من رشا بنت أم صلاح.

قاطعتها دون وعيٍ وذاكرتها تستحضر صورة تلك المتمايعة:

- رشا!..

لتحرك المرأة رأسها بأسف وهي تؤكد:

- سامحيني ياختي لو الخبر الشؤم ده سمعتيه مني، بس عشان خاطر الأخوة اللي ما بينا حقي أعرفك وأفطمك ع اللي بيحصل من وراء ضهرك.

خلعت أحلام ذراعها من بين أصابع الجارة واندفعت للخارج بضربات قلب تصم الأذنين و انتفاضات واجفة تملكت من سائر الجسد.

(٢)

أول مرة تحب يا قلبي و أول يوم أتهنى

- همممممم.

ياما على نار الحب قالولي ولقيتها من الجنة

- اااااااااه.. قول يا حليم قوووول.

وسبحان مغير الاحوال

- على فين العزم يا حاج؟!

والنبرة متهكمة، ساخرة بوقفة متخصرة عند إطار الباب.. تحدجه عيناها الواسعة في وقفته عند المرآة، منذ قرابة ثلث الساعة وهو يهذب في شعيراته تارة وشاربه أخرى، حد أن أوداجها انتفخت وكادت أن تصرخ به

" يا راجل إختشي.. يا راجل عيب"

لكنها حفظتها في نفسها، فناكر الخير والجميل يستحق أكثر من سبة سيرميها خلف ظهره ويسير بعدها في الدرب الذي خطى خطواته بثبات واحدة تلو أخرى بكل رغبة تامة..

الصبر أحلام.. فقط الصبر

- هه..

انتبه لها وبتلعثم حروف تابع:

- أبداً نازل المعرض، عندي شوية حسابات كده متأخره.

وبمصمصة شفاه:

- المعرض؟ بقى الشياكة والعياقة دي كلها للمعرض!

ادعى عدم السمع وتحرك أمامها مغادرًا.. وهي لأول مرة لم تلحق به، فزمن التدليل قد ولى وإنتهى.

استدارت قبالة المرآة المسطحة وهي تتوعده مع حالها بنصف عين:

- أنت اللي بدأت.. والبادي أظلم.

صحيح استنكرت حديث الجارة و صدتها وقتها، لكن الحقيقة في دواخلها كانت تتضح أكثر وتبرز دون تجميل، فمن أكثر منها تشعر بتغيراته في الآونة الأخيرة، هي من عاشرته لخمسة عشر عاماً، منذ أن كان مجرد عامل في ذات المعرض الذي أصبح مالكه الآن، ليأتي ويكافئها بعد هذا العمر.. بعروس جديدة.

***

عند العروس.. يجلس فوق أريكة جانبية وتجاوره بدورها، تناولت بطرف أصابعها قطعة من صينية البسبوسة بالمكسرات التي جاء بها معه لترفعها نحو فمه في تدليل.. لا يليق به:

- ماتكسفنيش بقى.

التهمها ودمدم بحرارة قرب أذنها:

- أنا بقول نقدم ميعاد الفرح.

وجوابها عبارة عن ضحكة "تودي في داهية" قطعها ولوج أمها بالعصير البارد:

- أهلاً أهلاً بالحاج منعم.. حطي بسبوسة لعريسك يا رشا.. البيت بيتك يا حاج.

وكأن الحاج يحتاج لوصاية:

- كنت بقول للعروسة نقدم ميعاد الفرح ايه رأيك يا أم العروسة؟

والرد كان جملة ضاع معناها عقب الزغرودة الطويلة التي رجت أركان المنزل البسيط:

- اللي تشوفه يا حاج.

- على بركة الله.. نقول زي النهاردة يا ست البنات؟

والفرح الذي صدح فجأة لا يحتاج بعده جواب.

***

واستعيذوا من كيد النساء

لملمت صغارها ومجوهراتها وتركتهم في أمانة أمها العجوز وعادت لمنزلها.. مسحت ببصرها أركان الشقة واحدًا تلو الآخر، فهنا مضت سنون العمر وهنا تآلفت الأرواح.. هنا أينعت ثمارها النضرة حتى سقطت جميعها ولم يبق منها سوى الأغصان اليابسة.

رفعت الجالون بعزم دون تراجع ورشقت منه في كل ركن وزاوية لتتناثر قطرات البنزين في تتابع..

وما إن فرغ حتى أخرجت عود ثقاب..

أشعلته وقذفت به أرضاً..

وفي ثوان معدودة كانت تضطرم النيران وطقطقتها تحرق كل ذكرى بين الجدران..

الحلوة قبل المرة.

انتظرت حتى تعلو ألسنة اللهب وراحت تركض ناحية الباب في صراخ.. تناشد فيه غوث السامعين.

خطة بسيطة..

قضاء وقدر.. أو ربما هي عين الحسود التي تستحق ألف عود

حريق التهم الأخضر واليابس، فلم يبق ولا يذر

وهكذا بدلاً من الصرف على عروس جديدة أولى له أن يرمم ما تلف..

ونظراً لحجم الخسائر الفادحة مؤكد سيعيد النظر في الموضوع كله.

وهنا ركع لها الشيطان مصفقاً وهاتفًا بجذل:

- عظمة على عظمة على عظمة يا ست.



(٣)

ولا تأمنوا مكر الرجال

مر شهر..

فقط شهر كان قد أصلح فيه ما تآكلته النيران وأتى بغيره، بل وعمل على توضيب الشقة المقابلة للأولى تحت مرأى ومسمع منها، وما كان يخفيه عن الجميع بات يتفاخر به.. ليس لأنه علم بفعلتها الشيطانية، بل لأنها تغيرت من ناحيته ولم تعد باقية على نفس وتيرة التفاني!

والتقط من هنا طرف الخيط..

وعاش في دور الزوج المهمل والمركون فوق الرف الذي يفتقد الاهتمام والمراعاة حد الإتقان.

وبدأ حين واجهها ببرود الكون وكأن ما يخبرها به شيء بسيط

"أنا قررت أتجوز"

" ليه؟"

خرج سؤالها باردًا، صادمًا في ذات الوقت..

وهنا أدرك أنها على خبر ودرايه بالأمر..

وحينها اتبع طريق "خدوهم بالصوت" ودمغ قراره بحقه الشرعي:

"والله الشرع حللي أربعة.. يعني أنا ماعملتش حاجة عيب ولا حرام"

"اه الشرع.. على كل حال مبروك يا حاج"

ولم تجادل أو تنتحب.. ولن تفعلها

لن تشتري من باع العمر بثمن زهيد



***

"مبروك يا عروسة "

قالها العريس عقب غلقه لباب الشقة من وراءهما.. والعروس ترفرف بأهدابها الصناعية في صيغة خجل مبالغ بها، وابتلع هو الطعم فقرر التروي.. وتحرك ناحية سفرة الطعام بهتاف متعجل:

- تعالي ياعروسة نتعشى الأول..

تحركت ببطءٍ وما إن جاورته بحياء حتى تناول واحدة من الحمام المحشي، التهم قضمة كبيرة ليردف بعدها بغمزة وضحكة سمجة:

- ليلتنا فل بعون الله.

والعروس العشرينية تخضبت بخجل حقيقي تلك المرة، و ملامحها تستحضر صدمتها في الرجل الأربعيني وقد

إختفى عنه إطار الوقار.. لذا انتفضت من جلستها وهي تلقي بكلمات خاطفة:

- هغير هدومي.

واختفت من أمامه.. ليتابع هو التهام طعامة بنهم حتى تمام التخمة وحد الإكتفاء.. تجشأ بقوة قبل أن ينهض وكفاه يفركان في بعضهما:

- استعنا ع الشقى بالله.

وعقب نصف ساعة دون زيادة كانت وتيرة شخيره تعلو وتنخفض في رتابة، يصحبها صوت صفير خافت لا تدري عروسه الصغيرة من أين ينبعث تحديداً..

العروس التي تعب فمها من كثرة الإلتواء يمنة ويسرة في خيبة أمل بعد ما تهدم سقف أحلامها فوق رأسها.

لكن عفوًا.. البضاعة المستهلكة لا تسترد ولا تستبدل.

(٤)

" كل غربال جديد و له شدة"

لم يكذب المثل الشائع..

فالأنغام الشرقية المنبعثة بصخب جعلتها تفقد تعقلها أكثر.. آلا يكفي غيابه عن الجميع منذ أسبوعٍ كاملٍ فقط يذهب للصلاة في المسجد المجاور ويعود على الفور.. وحقًا قد طفح الكيل بل زاد وفاض.

مشت على أطراف قدميها حتى انتهت أمام باب غريمتها، استرقت السمع لدقائق وحين لم تصل لشيءٍ رفعت كفها في طرقات قوية، نفضت من بالداخل..

ولأن العروس أدرى بـ " شغل النسوان" أرادت أن تبقى هي في المقدمة:

- خليك مرتاح يا نعومتي هشوف مين.

بولهٍ:

- متتأخريش عليّ يا رشروش.

وضحكة مايعة أعقبها:

- من عيني يا روح قلب رشروش.

تركته وعند الباب تطلعت من الفتحة السحرية ليصدق حدسها، وسريعاً فكت عقال خصلاتها وبعثرتها، حلت عقدة المئزر الحريري لتظهر الغلالة الشفافة من تحته ثم..

فتحت وارتكزت بجسدها على الإطار في وقفةٍ متخصرةٍ.. وهتفت بضيقٍ مقصودٍ:

- يااااا نعم.

شملتها أحلام بنظرة، لوت بعدها شفتيها في امتعاض وغمغمة:

- نعم الله عليكِ ياختي.. نادي الحاج من جوه عاوزاه.

- الحاج مش فاضي.

وشهقة غادرت المجرة يصحبها صياح تعالت وتيرته:

- مش إيه يا عينيا!

ثم أردفت أحلام بعد ما دفعتها بقوة وخطت للداخل بصرآخ آخر:

- يا حاج.. أنت يا حاج!

لتقف رشا أمامها وتزعق بساعدين معقودين:

- قولتلك مش فاضي أنت ما بتفهميش!

وحآن وقت الزوجة الأصيلة أن تبعث من جديد:

- أنا مابفهمش يا خاطفة الرجالة.. يا بايره.. ياللي ما حد عبرك، فضلتي وراء الراجل لحد ما وقعتيه في حبالك يا خرابة البيوت.

وصلة ردح معتبره من قبل القديمة لترد الجديدة بتلاعب حاجبين وهدوء يبعث بالأخرى إلى الجنون:

- والله لو كنتي ماليه عينيه ماكنش بص بره.

وهنا ظهر "بسلامته" ودخل بينهما في محاولة لتهدئة النفوس:

- صلوا على النبي يا جماعة.. أنتوا دلوقت في مقام الأخوات.

جذبته أحلام من ذراعه بملامح متجهمه وصراخ بحت نبرته:

- عجبك كلام مقصوفة الرقبة دي!

وهنا تدللت العروس وهي تتمسح فيه قصدًا وتهمس بغنجٍ:

- على قلبه زي العسل.

وعقب جملتها أخرجت لها لسانها حتى تكيدها أكثر..

ونجحت في أن تفقدها كل ذرة صبر.. فدفعت بالحاج جانباً فجأة حد أنه كاد أن يسقط وهي تهتف بشرر:

- خد جنب كده يا حاج.

و "الجدع" يخلص خصلات رشا من بين أصابع أحلام.. والحاج منعم لا حول له ولا قوة بين مطحنة نسائه..

وفي النهاية لم تكتف منها حتى تذوقت طعم دمائها بين أسنانها.

وما إن أفلتتها حتى تحاملت لتنهض وتحتمي بين ذراعي الحاج..

- ست متوحشة.. مستحملها إزاي دي يا منعم!

رتبت هيئتها بتروٍ وقد زال بعض من غيظ لتهمس ببساطة:

- دي كانت التشريفة يا ست العرايس.

وهنا قرر رجل الغاب طويل الناب أن يضع حداً لـ"غيرة النسوان" و صدح القرار الديكتاتوري:

- باااس.. من بكرة هينزل الجدول واللي مش عاجبها الحال الباب يفوت جمل.

***

والجدول عبارة عن يوم هنا ويوم هناك..

" وكله بما يرضي الله "

وهكذا استمر الحال لشهر..

- عايزه حاجة يا أحلام أنا نازل؟

- عايزه سلامتك.

لشهرين..

- عايزة حاجة يا أحلام أنا نازل؟

- لأ.

لثلاث أشهر..

- عايزة حاجة يا أحلام أنا نازل؟

- ....

(٥)

بعد عدد من السنوات..

- مالك يا حاج منعم شكلك تعبان؟

والسؤال القلق من صديق العمر.. والجواب:

- مهموم يا عبدالحميد يا خويا.. البنت الكبيرة داخله على جواز وأنت أدرى مني بجواز البنات.. غير الواد التاني ومصاريف الجامعة والتالت والرابع..

بشهامة صديق ضرب فوق صدره بكفه:

- أخوك سداد يا حاج متشلش هم ولادك هما ولادي.

ربت فوق كتفه في إخاء:

- تعيش يا عبد الحميد شايلك لعوزه.. مستورة والحمد لله.

عاتبه بصدق:

- والله يا منعم ماكان لك جواز تاني، دي قضمت وسط يا جدع.. ده الواحد فاتح بيت بالعافية.

بإقرار صريح:

- أهو تقول إيه على قلة العقل بقى.. الواحد نفسه إتقطع وياريت عاجب.

- طول عمرك صاحب مزاج يا حاج.

ليقهقه الرجلان ويهتف عبد الحميد:

- أيوه روق كده يا راجل وسيبها على الله.

تنهيده قوية و تمتمة أخيرة:

- لله الأمر من قبل ومن بعد.

***

" أنا خلاص إتخنقت وجبت آخري.. شوفوا لي حل"

قالتها رشا وهي تلقي بجسدها قرب أمها، تهدهد الصغير فوق كتفها وتوجه كلماتها لبقية الصغار:

- فارس خد أختك وادخلوا العبوا جوه.

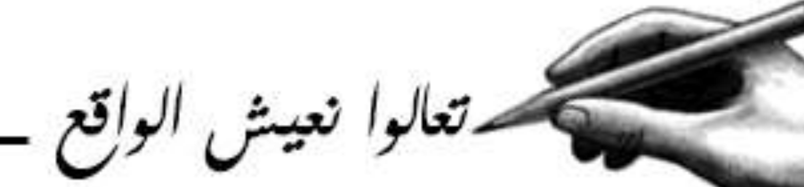
ذهب الصغار و واجهت أمها بعيون دامعة ونبرة متهدجة:

- الولية الأرشانه مش عتقاني في الطالعة والنازلة كل ما تشوف خلقتي تسم بدني.

ربتت فوق ظهرها تطيب خاطرها ككل مرة تأتي لها بنفس ذات المعضلة:

- معلش يا حبيبتي إستحملي.

بحنق:



- أستحمل إيه يا ماما ولا إيه، طولت لسانها ولا كيد ولادها ليا.. دول عاوزين يطفشوني!

بأعصاب باردة:

- طالما جوزك كويس معاكي ماتسبيش بيتك.

بشفاه ممتعضة:

- جوزي!! هو أنا بشوفه أصلاً.. ده يأكل اللقمة من هنا وينزل جري ع المعرض مايرجعش إلا بعد نص الليل، لا طايله نص راجل ولا حتى ربع.. آل جوزي آل.. بلا خيبة.

بحزم أموي:

- إحمديه يا رشا، غيرك قاعدة لحد دلوقت من غير جواز.. وعشان خاطر ولادك ماتخربيش على نفسك.

في قلة حيلة سلمت أمرها:

- على رأيك يا ماما أهو ضل راجل ولا ضل حيطة.

***

" نورتيني يا أم محمود.. والله لك وحشة"

هللت أحلام بضيفتها وهي تقدم لها طبق الفاكهة الكبير في ضيافة واجبة.. لهتف المرأة في سرور:

- منور بأهله يا حبيبتي.

وعقب حكايا من الشرق وأخرى من الغرب غمغمت أم محمود بتوجس:

- طمنيني النهاردة الجدول عندك ولا عند اللي ما تتسمى، أحسن جوزك يطب على غفلة.

تشدقت قائلة:

- عند اللي ما تتسمى إطمني وخدي راحتك.

بتعجب قالت الجارة:

- والله أنتِ من جبال يا أحلام أنا لو مكانك ماستحملش أقعد على ذمته يوم واحد بعد ما دخل عليّ بضره، لو أعرف بس جايبه الصبر ده كله منين؟!

تناولت أحلام قدح الشاي، ترتشف رشفة واحدة وتجيب ببسمة هادئة:

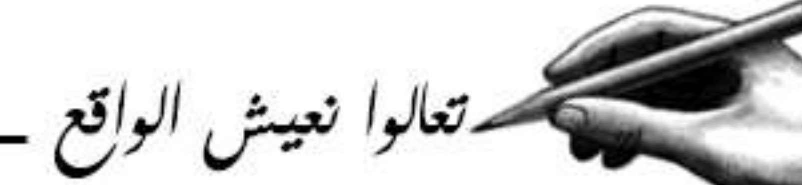
- كنت هروح فين بخمس عيال يا أم محمود ولا منين هصرف عليهم، اللي إيده في المية مش زي اللي إيده في النار، وفي الآخر كل واحد بياخد نصيبه.

وافقتها بإيمائة وتحدثت:

- على رأيك.. أهو مسيره يقابل رب كريم ويتحاسب على عمايله.. وأنتِ عيالك كبروا دلوقت ومانتيش محتاجه له، بكره وبعده كل حاجة هتكون ملك ليهم وتحت تصرفهم.

- يا عالم مين يعيش ومين يموت يا أم محمود.

بإصرار:



- هتعيشي يا حبيبتي وتتعوضي عن كل حاجة.. على رأي المثل اصبر على جارك السوء ليرحل..

وصمتت تترك لها التكملة.. فأكملت لها بيأسٍ باسمٍ:

- لتيجي مصيبة تأخده.

تمت

٢٠١٧/٤/١٥

ترانيم

شخابيط وردية